Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

الغزو الثقافي والأدب الروائي في مصر

الدكتور فرامرز ميرزائى
جامعة بوعلي سينا / همدان

لاشك أن الغزو الثقافي يعتبر ظاهرة سلبية تواجهها الشعوب المختلفة التي ترزح تحت سيطرة الاستعمار. والغزو الثقافي في الحقيقة، صراع بين ثقافة الأُمّة الاصيلة وثقافة الغرب الوافدة، او بين الاصالة واللأصالة.

والادب ـ كما قيل عنه ـ «ابن بيئته»، ومن ثمّ ظهر فيه هذا الصراع الثقافي، وردّ فعل كل منهما بالنسبة للاخرىٰ وردُّ فعل افراد المجتمع تجاه هاتين الثقافتين وخاصة تأثر المثقفين بالثقافة الوافدة والذي عبر عنه بـ (الغزو الثقافي).

هذا التضاد الثقافي الذي حدث بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية، وبتعبير أدق، بين ثقافة الغرب العلمانية، وثقافة الشرق الدينية، انعكس في الرواية العربية، خاصة المصرية، انعكاساً واسعاً ونوقشت فيها نتائج هذا التقابل الثقافي كالعلمانية والعبثية واللامبالاة.

خلفية الغزو الثقافي

جعل مؤرخو الادب العربي غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨م بداية لتاريخ الادب العربي المعاصر، يوم ارتبط الاستعمار بالعالم العربي ارتباطاً مباشراً. وكان محمّد علي الذي سمي بـ (مهندس التغريب) أوجد حكومة قومية على الطراز الحديث وارسل وفوداً علمية إلى اوروبا واستخدم الخبراء الفرنسيين وبنى المدارس العلمية ودفع الطلاب الذين رجعوا من اوروبا إلى ترجمة الكتب الاوروبية، الادبية منها والعلمية[١]، ومن ثمّ استطاع الغرب ان يحصل على (موطئ قدم) في البلاد العربية. وأدت هذه العلاقة المباشرة بينهما إلى نشوء جيل يمثل فئة من الرواد المصريين المثقفين الذين غمسوا اقلامهم بمحابر اوروبية، متململين من لون المحابر الازهرية، مسحورين ببهارج الحضارة الوافدة من الغرب، برمين بكل ما هو شرقي[٢].

زعم هؤلاء المثقفون ان دواء التخلف والرجعية يكمن في تقليد تام للأوروبيين وتبني تفكيرهم الذي ينافي مبادئ الثقافة الدينية التي كانوا يعتقدونها. وهذا بدوره أدىٰ إلى ورود تيارات فكرية جديدة وخلابة للجيل الحديث تناقض تماماً القيم الدينية والشرقية.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

وأُسست مع هذه القيم والافكار الغربية أحزاب وتكتلات تدعو إلى طرق مختلفة للخروج من مأزق التخلف والنزاع بين القديم والجديد، لكنها لم توفق في حل الأزمة و«زادت في الطين بلّة»[٣].

وهذا التقابل الثقافي بين الثقافة الغربية التي ظهرت بالقناع العلمي، والثقافة الإسلامية التي لم تنقَّ بعد من الخرافات التي امتزجت بها امتزاجاً، حدث في فترة كان الاستعمار حاكماً وكانت حضارتهم مسيطرة، وبالتالي أصبحت ثقافتهم ثقافة غالبة، فاسترعت انتباه العرب ومثقفيهم ودفعهم لترويج هذه الثقافة العلمانية بين الشباب. في الحقيقة استطاع الاستعمار الغربي أن يفرض ثقافته اللادينية العلمانية على جيل الشباب ومن ثمّ ظهرت العلمانية والعبثية والاحساس بالغربة واللامبالاة واللامعقولية في الحياة، بين الشباب المثقفين كنتائج لهذه الثقافة المفروضة.

يقول غالي شكري الناقد الادبي، عن اللقاء بين الغرب والشرق: (ان اللقاء المباشر بيننا وبين الثقافة الغربية قد تمّ من زاوية رئيسة بواسطة الاستعمار، ومن ناحية اخرىٰ كانت هذه الثقافة الواردة من وراء البحار ذات تيارات عديدة لم نشارك في صنع أي منها إلّا أنها كانت تعبيراً روحياً صادقاً عن المجتمعات التي انبثقت منها. . (وهذا) يخلق الانقسام في شخصيتنا، بين منطقنا العقلي وحياتنا العملية)[٤].

هذا الغزو الثقافي وما نتج عنه من العلمانية والعبثية والازدواجية في الشخصية وكذلك التقابل الثقافي والفكري بين الشرق والغرب، ظهر في الادب الروائي العربي المعاصر، ونحن اخترنا نماذج من تلك الروايات التي كتبت في الأزمنة المختلفة، وهي: قنديل ام هاشم ليحيىٰ حقي، وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، والثلاثية لنجيب محفوظ، سنناقشها من هذه الزاوية.

قنديل أُم هاشم

يعتبر يحيىٰ حقي من الروائيين المتقدمين في مصر. وروايته (قنديل أُم هاشم) تعتبر من الروايات التي كتبت في بداية النهضة الروائية العربية، وتمثل تجربة جيل ذهبوا إلى اوروبا وتشبعوا بثقافته ثمّ قلدوها تقليداً، وأخيراً، في نهاية المطاف، رجعوا إلى انفسهم وإلى ثقافتهم الدينية.

والرواية تدور رحاها حول حياة رجل اسمه (اسماعيل) وهو شاب قروي غادر أهله القرية إلى القاهرة للحصول علىٰ عيش افضل، وكان أبوه يحب (مقام السيدة زينب) فيسكن في هذا الحيّ. وباقتراح أحد أصدقائه يرسل ابنه (اسماعيل) إلى اوروبا ليتم دراسته ويوصيه حين الوداع: «وصيتي اليك ان تعيش في بلاد برّة كما عشت هنا حريصاً علىٰ دينك». . . «اياك ان تغرك نساء اوروبا فهنّ لسن لك وانت لست لهنّ»[٥].

أما اسماعيل فانه ينبهر بالحضارة الغربية وينسىٰ وصية ابيه ويتصل بامرأة اسمها (ماري) فدخل الشك في ايمانه، فيؤمن بالعمل بدلاً من الإيمان بالله، إلى ان قال له استاذه مازحاً: (أُراهن أن روح طبيب كاهن من الفراعنة قد تقمصت فيك وأن بلادك في حاجة اليك، فهي بلد العميان)[٦].

وأيقن أن رسالته هي انقاذ بلده من التخلف والرجعية التي مثلته الرواية بصورة رمزية في (ألم العين) الذي أُصيبت به زوجته (فاطمة)، وهذا الألم لا يداوىٰ إلّا «بزيت قنديل ام هاشم»، الزيت الذي يقدسه الناس ويتبركون به. ولكن اسماعيل لم يقبل هذه الفكرة، فصرخ في وجه أمه: (حرام عليك الأذية! حرام عليك! انت مؤمنة فكيف تقبلين هذه الخرافات والأوهام؟ فأجابته أُمه: يا بني، ده ناس كثير تباركو بزيت قناديل ام العواجز جربوه، ربنا شفاهم، احنا طول عمرنا جاعلين تكالنا علىٰ الله وعلىٰ أُم هاشم. . . أجاب اسماعيل: أنا لا أعرف أُم هاشم ولا عفريت. وسمع صوت ابيه كأنما يصل إليه من مكان سحيق: ماذا

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

تقول؟ هل هذا كل ما تعلمته من بلاد برّة؟ كل ما كسبناه ان تعود الينا كافراً؟)[٧].

فيغضب اسماعيل ويهجم على قناديل ام هاشم ويكسرها فيهجم الناس عليه ويضربونه ويشتمونه فيصبح وحيداً يمشي في الشوارع ويفكر في نفسه وعلمه. وحين يصل إلى ساحة أم هاشم ويرى الناس في ليلة الإحياء يجد نفسه انها انقطعت عن أصله ويصحو ضميره فيحمل معه قطرات من «زيت قنديل ام هاشم» ويداوي بها ألم العين الذي اصيبت به زوجته (فاطمة). ومن هنا يقرّر ان يمزج بين الطبابة العلمية والاعتقادات الدينية، فيذهب إلى مزار ام هاشم يخاطبها قائلاً: (فهمت الآن ما كان خافياً عليّ! لا علم بلا ايمان. إنها (فاطمة) لم تكن تؤمن بي، انما إيمانها ببركتك انتِ وكرمك ومنك وبركتك يا ام هاشم)[٨].

والكاتب يستنتج من قصته هذه فيقول عن بطل روايته: (استمسك من العلم بروحه واساسه وترك المبالغة في الآلات والوسائل واعتمد على الله ثمّ على علمه ويديه فبارك الله في علمه ويديه)[٩].

عالج يحيى حقي في روايته هذه «النزاع بين الثقافتين الغربية والدينية وتأثيره على هؤلاء الشبان الذين انبهروا في البداية بالحضارة الغربية متنكرين لما لديهم من التقاليد الدينية واعتقاداتهم ثمّ رجعوا إلى انفسهم وإلى دينهم مستفيدين من العلم الغربي ومقرّين بالفضل للاعتقادات الدينية، وهذا ما حدث بالنسبة لكثير من المثقفين الأوائل. واخذ يحيى حقي الموضوع وناقشه في روايته (قنديل ام هاشم) مناقشة جادة.

عصفور من الشرق

لعلنا لم نتجاوز الحقيقة إذا قلنا ان هذه الرواية كلها سخرية بثقافة الغرب ونقد مرّ لماديتها، وحكم توفيق الحكيم في روايته هذه ان لا جدوى في الحضارة الغربية، وانما النجاح في الشرق وحده وان الثقافة المادية الغربية ستنتهي في نهاية المطاف إلى الفساد والدمار وان البشر سوف يرى ان دواءه الحقيقي يكمن في الشرق ودينه.

والقصة تدور حول حياة رجل اسمه (محسن)، يذهب إلى فرنسا ليواصل دراسته لكن ثقافته المعنوية تصطدم بثقافة الغرب المادية ويرى نفسه (كالعصفور الشرقي) في قفص المادية الغربية. إنه ينبهر قليلاً بالحضارة الغربية المتمثلة بامرأة اسمها (سوزي) ويخسر في حبه لهذه المرأة بسبب احساسه المرهف المضاد للإحساس الجاف لصاحبته تجاه هذا الحب.

ثمّ يتعرف على رجل اسمه (ايفا نوفتش، وهو عامل صغير فرّ من روسيا الماركسية)، وحار تماماً في حياته. ومن هنا تدخل الرواية طوراً آخر كله حوار ساخر يجري بينه وبين محسن ناقداً الثقافة الغربية نقداً مراً ومفضلاً الثقافة الشرقية عليها مقارناً بينهما قائلاً: (ولكن الغريب هو ان الغرب اراد ان يكون له انبياؤه الذين يعالجون المشكلة على ضوء جديد وكان هذا الضوء منبعثاً هذه المرة من باطن الأرض، لا آتياً من أعالي السماء . . . وهو ضوء العلم الحديث. فجاء نبينا كارل ماركس ومعه انجيله الارضي «رأس المال» وأراد ان يحقق العدل على هذه الأرض . . . فحدث ان امسك الناس بعضهم برقاب بعض ووقعت المجزرة بين الطبقات تهافتاً على هذه الأرض)[١٠]، (و لقد ألقت قنبلة «المادية» بالبغضاء واللهفة والعجلة بين الناس، يوم فهم الناس ان ليس هناك غير الأرض، يوم اخرج «السماء» من الحساب لان علم الاقتصاد الحديث لا يعرف السماء)[١١].

ثمّ يواصل مقارنته قائلاً: (روح المسيحية، كما نبعت من الشرق، هي المحبة والمثل الأعلى، وروح «الإسلام» الإيمان والنظام، ومسيحية اليوم الجديدة من الغرب هي الماركسية، وإسلام العصر الجديد من الغرب فهي

الفاشية وهي كذلك لها طابع الإيمان والنظام، ايمانٌ لا بالله بل بزعيم من البشر ونظام لا يؤدي إلى التوازن الاجتماعي بالتواضع والزكاة، انما هو نظامٌ فرضته يد الارهاب ليؤدي إلى مطامع الاستعمار والوثوب على الضعيف من الشعوب)[١٢].

وُصف في الرواية العصر الجديد بـ(عصر العبيد) الذي انهارت فيه الاسرة (صدقتما لم تعد هنالك اسرة، الرجل والمرأة في المصنع طول النهار، يا له من زمن عجيب! فقال الشيخ في قوة واقتناع: نعم لن يذهب الرق من الوجود... لكل عصر رقه وعبيده)[١٣].

وينقد المادية الغربية (الامريكية) قائلاً: (إن هؤلاء الامريكان قوم خُلقوا من الاسمنت المسلح، لا روح فيهم ولا ذوق ولا ماضٍ. إذا فتحت صدر الواحد منهم وجدت في موضع القلب دولاراً)[١٤].

ويصدر توفيق الحكيم حكمه الفاصل قائلاً: (إن الفرق بين عبقرية الغرب الروحية وعبقرية الشرق الروحية كالفرق بين المشعوذ والمسيح)[١٥]، وإن (كل شيء في هذه المدنية الحاضرة يتآمر على قتل الفضائل الانسانية العليا وصفاتها الآدمية السامية)[١٦].

ويرىٰ أن انقاذ البشر في الشرق دون الغرب (انما الانقاذ من الخارج، انما النجاة في الفضاء، إلى هناك.. إلى الشرق. قم معي إلى الشرق)[١٧]. (آه! النور... النور يشرق من بلاد الشمس ليغرب في بلاد الغرب)[١٨].

ففي الشوط الاخير من الرواية تطرق الحكيم إلى مسألة مهمة؛ ألا وهي (الغزو الثقافي) ويتأسف من تأثير المادية الغربية على الشرق، وانه بسبب هذا التأثير لم يبق للشرق شيء وان (أفيون الغرب جعل آذان أهل الشرق لا تسمع وان قلوبهم لا تعي)[١٩].

يشير توفيق الحكيم إلى هذا الغزو الثقافي الغاشم على لسان البطل الرئيس (محسن) قائلاً لـ(ايفان): (مهلاً أيها الصديق!... إن ذلك المنبع الذي تريد ان تراه وتلك الانهار التي تريد ان تشرب منها قد تسممت كلها... ان «الفتاة الشقراء»[٢٠]، يوم حقنت فخذها بالمورفين السام لم تترك (أبويها)[٢١] سالمين. لقد قضي الأمر ولم يعد هناك نبع صاف، فإن الزهد قد ذهب كذلك من الشرق)[٢٢]. ثمّ يشير إلى المادية التي تأثرت بها الثقافة الشرقية قائلاً: (إن رجال الدين هناك يعرف بعضهم اليوم كذلك اقتناء السيارات، وقبض المرتبات، وتورّد الوجنات من النعم والمتع)[٢٣].

وقلد الشرقيون الغرب تقليداً أثار الضحك (وإن ثياب الشرق الجميلة النبيلة هي اليوم خليط عجيب من الثياب الاوروبية، يثير منظره الضحك؛ كما يثير منظر قردة اختطفت ملابس سائحين من مختلف الاجناس، وصعدت بها فوق شجرة ترتديها، وتقلد حركات أصحابها).

فيشير محسن إلى وقع الاثر والتحول المبكي صارخاً (وانه لمن السهل ان تقنع شرقياً اليوم بأن دينه فاسد ولكن ليس من السهل ان تقنعه بان الصناعة الكبرىٰ هي عجلة ابليس التي يقود بها الانسانية إلى الدمار... وان تعليم العامة لرموز الكتابة نوع من الهراء وانك تستطيع اليوم ان تقتلع من رأس الشرقي عظمة السماء... ولا تستطيع مطلقاً ان تقتلع منه عظمة العلم الاوروبي الحديث، وانه لمن اليسير ان تُسفه عند الشرقي الآن «رسالة» الأنبياء ولا يمكن ان تسفه لديه «رسالة» القوة المادية الحديثة!)[٢٤].

فيتعجب (محسن) من الشرقيين الذين اصبح من معتقداتهم الراسخة ان الثقافة المادية الغربية ثابتة ثبوت الآيات المنزلة وقد يناقشها الاوروبيون انفسهم وينقضونها[٢٥].

يشير إلى الغزو قائلاً: (لقد كانت «الحقنة» شديدة الأثر... نعم لا أحد يدري هل اوروبا حقنت الشرق بأفيون خالص أو بأفيون ممزوج بسم ناقع سرىٰ ـ وما

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

زال يسري ـ في شرايينه يقتل كل بذور المثل العليا الشرقية في النفوس)[٢٦]؛ وان أُسوتهم في الرجولة والبطولة والثبات قد تغير (فشبان الشرق اليوم عندما أرادوا ان يتخذوا لهم مثالاً للرجولة والبطولة، لم يتجهوا شطر «غاندي» ولكنهم اتجهوا بعيون، كأنها منومة تنويم المغنطيس، شطر «موسوليني»، ويوم ارادوا ان يجعلوا للتقشف والجلد والخشونة لباساً لم يضعوا علىٰ أبدانهم العارية القوية رداء بسيطاً من القطن، يصنعونه بايديهم، لكنهم ارتدوا القمصان الاوروبية ذات الالوان... إذن حتّى أبطال الشرق قد ماتوا في قلوب الشرقيين)[٢٧].

وأخيراً يقول توفيق الحكيم علىٰ لسان بطل روايته (محسن) كلمته القاضية بأنه لم يبق للشرق بسبب هذا الغزو الثقافي الغاشم والعدوان الصارخ شيء يُذكر (نعم اليوم لا يوجد شرق! انما هي غابة علىٰ اشجارها قردة تلبس زي الغرب، علىٰ غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا إدراك)[٢٨].

وبهذا تنتهي رواية «عصفور من الشرق»، وتوفيق الحكيم يستنتج بأن المادية الغربية سيطرت على الشرقيين، وكأفيون ممزوج بالسم الناقع خدّر أبناء الشرق. وهذه خسارة لا تفوقها خسارة.

الثلاثية

لاشك ان نجيب محفوظ استطاع ان يصور مرحلة سيطرت فيها الثقافة العلمانية المادية الغربية علىٰ أفكار الشبان المسلمين وأزماتهم النفسية الفكرية التي نتجت عن ذلك، واستطاع ان يجسم هذه المسألة في رواياته الثلاث المعروفة «بالثلاثية» وهي: «بين القصرين، قصر الشوق، السكرية».

وهذه الروايات الثلاث تعالج الحياة الثقافية والسياسية لثلاثة أجيال في مصر متتابعاً في النصف الأوّل من القرن الحالي. وبطله الرئيس هو «كمال عبد الجواد» الذي يمثل جيلاً يعاني من أزمة نفسية وازدواجية، حائرة إلى ان ينتهي امرهم إلى العبثية ورفض الدين تماماً، لانهم يُخال إليهم ان العلم يرفض الدين تماماً. ومن ثمّ الثقافة الغربية بالقناع العلمي تستحوذ عليهم.

«كمال عبد الجواد» رجل مؤمن ومثالي. نشأ في بيت تقليدي، وله ايمان وراثي وثقافته الدينية غير النقية تصطدم بالواقع المرّ، ويذوب ايمانه الوراثي التقليدي أمام أقل الشبهات الفكرية فينبهر امام ثقافة الغرب قليلاً ويتأثر بالقناع العلمي الذي يصحب هذه الثقافة العلمانية فيقول: (لا عظمة حقيقية إلّا في حياة العلم)[٢٩]، فيتصل باسرة يصفها محفوظ علىٰ لسان أحد أعضاء الاسرة: (أليس غريباً ألا نعرف عن ديننا شيئاً ذا بال؟ لم يكن عند بابا او ماما معلومات تستحق الذكر وكانت مربيتنا يونانية و«عايدة»[٣٠] تعرف عن المسيحية وطقوسها اكثر مما تعرف عن الإسلام)[٣١]. وهذا هو واقع الثقافة المفروضة.

يصبح «كمال عبد الجواد» مؤمناً بالعلم رافضاً الدين الذي كان يعتنقه ويُخال إليه أنه (سيكون في تحرره من الدين اقرب إلى الله مما كان في ايمانه له)[٣٢]، ويعتقد (فما الدين الحقيقي إلّا العلم)، (هو مفتاح اسرار الكون وجلاله ولو بُعث الأنبياء اليوم ما اختاروا سوى العلم رسالة لهم)[٣٣]، فيترك الصلاة والصيام (لم أعد من المصلين ولن أكون من الصائمين)[٣٤]، ولكنه يقع تحت قبضة العلم الحديدية (ثمّ تهوي عليه قبضة العلم الحديدية فكانت القاضية، اين الدين؟ ذهب!).

ومن ثمّ يقع في التناقض، يخاطبه صديقه قائلاً: (فلا زلت ـ بعد إلحادك ـ تؤمن بالحقيقة، والخير والجمال وتريد ان تكرّس لها حياتك، أليس هذا ما يدعو إليه الدين؟ فكيف تكفر بالاصل وتؤمن بالفرع؟)[٣٥]، وكان الدين بمثابة قيد يمنعه من شرب الخمر والارتياد إلى

الموموسات لكنه الآن يشرب الخمر و(إنه الآن ملحد عنيف)[٣٦].

وكمال يسير في طريق العلم جرياً وراء الحقائق، دون نتيجة، ثمّ يرى الطريق مسدوداً، حينئذ لا يدري ماذا يفعل (انك كمال تعاني أزمة فريدة، كل ما عندك مزعزع الأركان)[٣٧]، وانه يشك في «الإلحاد»[٣٨]، و(انه شك في الفكر والمفكر معاً)[٣٩]، و(هجر الدين جرياً وراء الحقائق العليا فعاد صفر اليدين)[٤٠]، وعالمه الآن مليء بالمتناقضات (واستشعر من توه عالمه الخاص الحافل بالمتناقضات والذي يبدو من تعارض متناقضاته وكأنه فراغ)[٤١].

ناهيك عن الحوار التالي الذي حدث بين كمال عبد الجواد وصديقه لتدرك مدىٰ حيرته ومدىٰ حيرة الجيل المثقف آنذاك:

(ـ ألم تعرف ألواناً من الإيمان قبل موقفك هذا؟

كمال: .... لذلك قصة طبعاً وكالعادة كان لي ايماني الديني ثمّ ايماني بالحقيقة.

ـ اذكرُ انك عرضت الفلسفة المادية بحماس يدعو للريبة.

كمال: كان حماساً صادقاً، ثمّ لم ألبث ان حركت رأسي مرتاباً.

ـ لعلها الفلسفة العقلية؟

كمال: ثم لم ألبث ان حركت رأسي مرتاباً، الفلسفات قصور جميلة هادئة ولكنها لا تصلح للسكن. فقال عبد العزيز باسماً: وشهد شاهد من أهلها.

فهزّ كمال كتفيه، اما (رياض) فواصل تحقيقه قائلاً: هنالك العلم فلعله نجا من الشك.

كمال: إنه دنيا مغلقة حيالنا لا نعرف إلّا بعض نتائجها القريبة، ثمّ اطلعت علىٰ آراء نخبة من العلماء يرتابون في مطابقة الحقيقة العلمية للحقيقة الواقعية وآخرين ينوهون بقانون الاحتمال وغيرهم ممن تراجعوا عن ادعاء الحقيقة المطلقة، فلم ألبث ان حركت رأسي مرتاباً. . . .

فضحك عبد العزيز ضحكة عالية وقال: لقد انتقم الدين منك، هجرته جرياً وراء الحقائق العليا فعدت صفر الدين)[٤٢].

وفي النص التالي نرىٰ كمال عبد الجواد يتحدث مع نفسه (المنولوج الداخلي) ونلاحظ فيه مدىٰ تأثير الثقافة الغربية عليه (قد يلوذ من الوحشة بوحدة الوجود عند سبينوزا او يتعزىٰ عن هوان شأنه بالمشاركة في الانتصار على الرغبة مع شوبنهور، او يهون من احساسه بتعاسة عائشة (أُخته)[٤٣] بجرعة من فلسفة ليبتز في تفسير الشر، او يروي قلبه المتعطش إلى الحب من شاعرية برجسون، بيد ان جهاده المتواصل لم يحدّ في تقليم مخالب الحيرة التي تبلغ حد العذاب)[٤٤].

نعم الحيرة القاتلة والعبثية لم يجد كمال عبد الجواد لهما دواءً شافياً (والحيرة التي لا مهرب منها إلّا بالخمر والشهوات)[٤٥].

ليس كمال عبد الجواد هو الوحيد الذي تأثر بهذا الواقع الثقافي المر، إن جيله بسبب هذه الافكار الواردة ورفضهم للدين اصبحو جيل الازمة (جيلنا مكتظ بالعزاب، جيل الازمة)[٤٦].

استطاع نجيب محفوظ في ثلاثيته أن يصور لنا نتائج ما نسميه (الغزو الثقافي الغربي) علىٰ هؤلاء الشبان المسلمين وكيف أنهم تركوا الدين واعتنقوا العلم والفلسفات الغربية، ثمّ تهافتوا على المجون والفساد وأخيراً وصلوا إلى العبثية واللامعقولية الحياة حيث عانوا من الازمة النفسية والفكرية بسبب هذا الغزو الثقافي معاناةً كبيرة.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة في روايات العرب الثلاث نرىٰ انه في الازمنة المختلفة حسب الواقع الثقافي

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

الموجود عالجوا الغزو الثقافي فيها.

فيحيىٰ حقي عالج القضية في زمن كان الشبان المتأثرون يرجعون إلى انفسهم مستفيدين من علم الغرب.

وتوفيق الحكيم حكم بأفضلية الثقافة الشرقية ولكنه اعترف اعترافاً مرّاً بان الواقع الثقافي تحت سيطرة الثقافة المادية الغربية وهذه خسارة كبيرة للبشر.

واخيراً نجيب محفوظ عالج القضية والنتائج معاً، وهي ان الشبان المثقفين يرفضون دينهم اولاً جرياً وراء العلم، ثمّ لا يحصلون علىٰ شيء ذي بال فتحدث لهم أزمة نفسية وفكرية بسبب هذا الغزو الثقافي.

وجدير بالذكر ان هناك روايات اخرىٰ عالجت القضية، ومن أشهرها رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) لكاتبها الطيب الصالح، وبطلها يعاني من النزاع بين الشمال والجنوب او الغرب والشرق.

ويقول الطيب صالح نفسه عن هذه الرواية: (رواية موسم الهجرة إلى الشمال كلها تحد لمفهوم الشمال بمعناه السائد في موازين القوىٰ وموازين السياسة. اقول هنا وبكل تواضع إن هذه الرواية ساهمت بتحديد العلاقة بيننا كعرب ومسلمين وبين هذا العالم الشمالي، لأن الفكرة السائدة من قبل أنها علاقة رومانسية، وهذا شيء مفهوم وان اساتذتنا الاجلاء الذين ذهبوا إلى الغرب في ذلك الوقت وقعوا تحت تأثير الحضارة الغربية. وأنا لا انكر ان الغرب جذاب ونحن جميعاً بدرجات متفاوتة واقعون تحت تأثير هذه الحضارة، إلّا ان الرواية جاءت لتتحدىٰ هذا الاحساس بالدهشة وهذه الرابطة التي أقول دائماً بانها غير سوية. صحيح اننا نتعامل مع الغربيين ويمكن ان نحبهم وان نتزوج منهم، ولكن في النهاية نحن شيء وهم شيء آخر، ومن هنا جاءت حدة الصراع والعنف الذي تكلمت عنه)(٤٧).

وأخيراً هناك روايات اخرىٰ عالجت قضية الغزو الثقافي من منظور ديني بحت. لان بعض الكتاب الملتزمين كآمنة الصدر، عبد الحميد جودة السحار، علي احمد باكثير ونجيب الكيلاني و جاذبية صدقي، رأوا من الاحسن ان يستفيدوا من هذا الفن الروائي، فجاءت رواياتهم تعالج القضية معالجة دينية. روايات (الفضيلة تنتصر)، (جسر الشيطان)، (مملكة الله)، وروايات نجيب الكيلاني الكثيرة، كلها تدور حول هذه القضية، وهذا يحتاج إلى مقال آخر إن شاء الله.

الهوامش

١ـ حسام الخطيب / الادب المقارن / الجزء الثاني / مطبعة الانشاء / ١٩٨١ / ص ٢٤ ـ ٣٠.

٢ـ عبد الرحيم حسن / صانع الحكايات الذي خطف لنا الجائزة / العالم / العدد ٢٤٥، ص ٥١.

٣ـ غالي شكري / المنتمي / ص ٢٥، ٢٨، ٣٦ و٣٩.

٤ـ المنتمي ص ٣٦.

٥ـ يحيىٰ حقي / قنديل ام هاشم / ص ٧٧.

٦ـ ص ٨٣.

٧ـ ص ٩٨.

٨ـ ص ١١٧.

٩ـ ص ١٢١.

١٠ـ ص ٧٦.

١١ـ ص ٧٦.

١٢ـ ص ٧٧.

١٣ـ ص ٣٨.

١٤ـ ص ١٦٠.

١٥ـ ص ١٦٤.

١٦ـ ص ١٥٧.

١٧ـ ص ١٦٥.

١٨ـ ص ١٦٧.

١٩ـ ص ١٧٣.

٢٠ـ يعني بها الغرب.

٢١ـ يعني بها الشرق.

٢٢ـ ص ١٧٢.

٢٣ـ ص ١٧٢.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

٢٤ـص ١٧٣.

٢٥ـص ١٧٣.

٢٦ـص ١٧٣.

٢٧ـص ١٧٤.

٢٨ـص ١٧٤.

٢٩ـقصر الشوق /ص ٥٥.

٣٠ـإحدى شخصيات الرواية.

٣١ـالمصدر السابق /ص ١٨٩.

٣٢ـالمصدر السابق /ص ٣٢٨.

٣٣ـالمصدر السابق / ١٨٩.

٣٤ـالمصدر السابق / ٣٣٣.

٣٥ـالمصدر السابق / ٣٣٧.

٣٦ـالمصدر السابق / ٣٣٧.

٣٧ـالسكرية /ص ٩٠.

٣٨ـ المصدر السابق /ص ١٠٢.

٣٩ـالمصدر السابق /ص ١٢٩.

٤٠ـالمصدر السابق / ١٠٩.

٤١ـالمصدر السابق /ص ٤٠.

٤٢ـالسكرية /ص ١٠٩.

٤٣ـاخت كمال وهي مصابة بمصائب كثيرة في الرواية.

٤٤ـالمصدر السابق /ص ١٧.

٤٥ـالمصدر السابق /ص ١٢٩.

٤٦ـالسكرية /ص ١٠٢.

٤٧ـ مجلة العالم / العدد ٣٦٩ / حوار مع الطيب الصالح / ٢٢ شعبان ١٤١١هـ/ص ٥٠.

المصادر والمراجع

١ـحسن، عبد الرحيم ،(صانع الحكايات الذي خطف لنا الجائزة)، مجلة العالم، العدد ٢٤٥.

٢ـحقي، يحيىٰ، قنديل ام هاشم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٧٤م.

٣ـالحكيم، توفيق، عصفور من الشرق، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٤ـالخطيب، حسام، الادب المقارن، المجلد الثاني، مطبعة الانشاء، دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٩٨١م.

٥ـشكري، غالي، المنتمي، دراسة في أدب نجيب محفوظ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨.

٦ـمحفوظ، نجيب، قصر الشوق، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

٧ـمحفوظ، نجيب، السكرية، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

٨ـمحفوظ، نجيب، بين القصرين، بيروت، دار القلم، الطبعةالأولى، ١٩٧٢.

٩ـمجلة العالم، حوار مع الطيب الصالح، العدد ٣٦٩.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی